قصة خلق سيدنا آدم عليه السلام في القرآن والكتاب المقدس (العهد القديم -التوراة-)

حسابن عويشة

جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان-

الجزائر

قصة خلق سيدنا آدم عليه السلام في القرآن

الإنسان آية عظمى ينطق ويبتسم ويشهد على عظمة خالقه.وهو دليل إعجاز، فكانت خلقة الإنسان على أجمل صورة وأحسن تقويم مصداقا لقوله تعالى ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ [1] فمن تدبر آيات القرآن الكريم بدقة وإمعان فيما خصه الله عز وجل لهذا الإنسان لأدرك يقينا المكانة العالية التي أعطاها الله عز وجل لهذا المخلوق.

خلق الإنسان في الإسلام أمر غيبي . لم يشهد خلقه أحد ولم يطلع على شيء من كنهه أحد من البشر،إنما اختص به الله سبحانه وتعالى ذاته الكريمة كما يظهر ذلك في قوله تعالى ﴿**ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا**﴾ [2]

انطلاقا من هذه الآية الكريمة الأمر محسوم عند المسلمين، مادام الخلق غيبا فيجب علينا أن نأخذ العلم من الخالق عز وجل في خلق سيدنا آدم عليه السلام، فالمصدران الوحيدان اللذان يجب أن نرجع إليهما لمعرفة قصة خلق سيدنا آدم عليه السلام هو ما

جاء في الذكر الحكيم وكذلك ما بينه لنا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في أحاديثه الشريفة الصحيحة..

لقد أخذت قصة سيدنا آدم عليه السلام لقطات متعددة في القرآن الكريم، لتعطينا في مجموعها قصة الخلق بكل أحداثها ومراحلها، ولم يكن ذلك تكرارا في القرآن العظيم، وإنما جاءت كل آية لتصف لنا كل طور من الأطوار التي مر به خلق سيدنا آدم عليه السلام .ولقد بين الحق سبحانه وتعالى كيفية خلق الإنسان في كثير من سور القرآن ، كـ ﴿البقرة﴾ و﴿الأعراف﴾ و﴿الحجر ﴾و﴿الإسراء﴾ و﴿الكهف﴾ و﴿ص﴾ وغيرها.

لقد مر خلق سيدنا آدم عليه السلام قبل نفخ الروح فيه بخمس مراحل:

1-خلقه من تراب

فالمرحلة الأولى وضحها لنا الحق سبحانه وتعالى والتي تبدأ من تراب في قوله تعالى **﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾** [3]

وقوله تعالى **﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون﴾** [4]

وقوله تعالى **﴿ومن ءاياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾** [5]

فتبين لنا هذه الآيات أن خلق سيدنا آدم عليه السلام – الإنسان الأول- كان من تراب .

2-خلقه من طين

أما المرحلة الثانية تشير لنا أن حفنة التراب المأخوذة من الأرض قد مزجت مع الماء لتصير طينا. وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى هذه المرحلة وذلك في قوله تعالى ﴿**إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين** »[6]، **وفي قوله تعالى « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين**﴾[7]،وفي قوله عز وجل﴿**الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين** ﴾[8].

فالحق سبحانه وتعالى يبين لنا أن أصل الإنسان وأصل الحياة كلها من طين الأرض، ومن عناصرها الرئيسية التي تدخل بذاتها في تركيب الإنسان الجسدي وتركيب الأحياء أجمعين.

3-خلقه من طين لازب

أما المرحلة الثالثة فهي تحول ذلك الطين إلى طين لازب في قوله تعالى ﴿**إنا خلقناهم من طين لازب** ﴾[9].فهذه ا المرحلة مكملة للمرحلة السابقة، فبعد أن كان الطين رخوا بسبب الماء أصبح في هذه المرحلة ﴿**طين لازب**﴾شديد متماسك كثيف غليظ، وذلك تمهيدا لتجميده وتيبيسه، ليصنع منه تمثال سيدنا آدم عليه السلام[10].

4-خلقه من صلصال من حمأ مسنون

وأما المرحلة الرابعة وهي خلقه من صلصال من حمأ مسنون مصداقا لقوله تعالى ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال**

من حمأ مسنون﴾ [11]. فهذه المرحلة جاءت مباشرة بعد أن صار المائع الرخو طينا لازبا ثابتا جامدا،ترك فترة ،فتحول إلى أسود منتن متغير جاف [12].

5-خلقه من صلصال كالفخار

أما المرحلة الخامسة والأخيرة قبل نفخ الروح ، وهي حين خلقه من صلصال كالفخار لقوله تعالى «خلق الإنسان من صلصال كالفخار» [13]، فحين ييس الطين صار يسمى صلصالا،لأنه إذا نقرت عليه "يصل" أي يخرج الصوت . وللإمام الراغب الأصفهاني تعليل لطيف لهذه الآية يقول فيه والفخار الجرار وذلك لصوته إذا نقر كأنما تصور بصورة من يكثر التفاخر [14].

وهكذا أخبرنا الحق سبحانه وتعالى بمراحل خلق الإنسان التي بدأت بأخذ حفنة من تراب ثم جبلت بالماء فصارت طينا، وبعد خلطه صار طينا لازبا، فإذا ترك هذا الطين اللازب فترة أصبح منتنا متغيرا أسودا كما توضح ذلك الآية في المرحلة الرابعة،فإذا زادت يبوسة هذا الطين صار كالفخار.

ومن رحمة الله عز وجل بعباده أنه ترك في محسات الحياة وماديتها ما يثبت صدقه في غيبياته، فهذه الأمور كلها يشرحها لنا نقيضها في الواقع المادي الملموس، فحين يحدث الموت نجد الروح هي أول ما يخرج من الجسم ،ثم يصير صلصال، ومن بعد ذلك يتبخر الماء من الجثمان، ليصبح من بعد ذلك ترابا. وهكذا نشهد في الموت كيفية بدء مراحل الخلق وهي معكوسة ،فالتراب أولا ثم الماء ،ثم الطين ،ثم الصلصال الذي يشبه الحمأ المسنون، ثم نفخ الروح

وقد صدق سبحانه وتعالى حين أوضح لنا في النقيض المادي ما أبلغنا عنه في عالم الغيب.

وبعد هذه المراحل الخمسة أصبح سيدنا آدم عليه السلام جسدا بدون روح ولا حياة ولا إدراك، فأخبرنا الله عز وجل عن حدث عظيم سبق نفخ الروح في جسد سيدنا آدم عليه السلام، ذلك الإعلان العلوي الجليل في الملأ الأعلى بأن الله جل جلاله خالق بشرا من طين فإذا نفخ فيه من روحه أمر الملائكة بالسجود له لقوله تعالى ﴿**إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين(71) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (72)**﴾[15].

فهذه الآيات الكريمة توضح لنا طبيعة تكوين هذا الخلق المسمى الإنسان. فهو تكوين خاص متفرد، يزيد على مجرد التركيب العضوي الحيوي ، الذي يشترك مع بقية الأحياء.وأيا كانت نشأة الحياة، ونشأة الأحياء،فإن الخلق الإنساني يتفرد بخاصية أخرى هي التي ورد بها النص القرآني ...خاصية الروح الإلهي المودع فيه[16].

إن من يتدبر القرآن الكريم يجد فيه آيات كثيرة عن خلق الكون وقصة خلق سيدنا آدم عليه السلام – قصة بدأ البشرية- فيبين لنا الحق سبحانه وتعالى أن أصل الإنسان وأصل الحياة كلها من طين هذه الأرض، ومن عناصرها الرئيسية التي تتمثل بذاتها

في تركيب الإنسان الجسدي وتركيب الأحياء أجمعين. وأن هناك أطورا بين الطين والإنسان.ولقد كان خلق الإنسان من عناصر هذا الطين اللزج المتحول إلى صلصال، ثم من النفخة العلوية التي فرقت بينه وبين سائر الأحياء ،ومنحته خصائصه الإنسانية.

قصة خلق سيدنا آدم عليه السلام في الكتاب المقدس (العهد القديم-التوراة-)

وردت قصة الخلق في الكتاب المقدس فقط في سفر التكوين الذي نزل على سيدنا موسى عليه السلام والذي يعتبر المصدر الوحيد لدى اليهود والمسيحيين في هذا الشأن.

وفي الكتاب المقدس قصتان مختلفتان للخلق تختلفان في موضوعهما، الأولى تبدأ من الآية الأولى في سفر التكوين الإصحاح الأول حتى نصف الآية الرابعة من سفر التكوين الإصحاح الثاني ، وفيها ذكر خلق الله للكون والإنسان في ستة أيام و"استراحته" في اليوم السابع ، في حين تذكر القصة الثانية التي تبدأ من نصف الآية الرابعة من سفر التكوين الإصحاح الثاني حتى الآية الرابعة والعشرين من سفر التكوين الإصحاح الثالث حديث مفصل عن خلق الزوجين الأولين،إذ خلق سيدنا آدم عليه السلام أولا وأسكنه الجنة التي زرعها في منطقة من الأرض الذي يدعوها النص بشرقي عدن ،ثم خلق من ضلعه المرأة حواء ، وفيها كذلك قصة سقوطهما المعروفة.

القصة الأولى: سفر التكوين الإصحاح الأول (26-31)

26 وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض [17].

في هذه الآية إعلان الله عز وجل أنه سيعمل الإنسان، الذي يكون خليفة في الأرض،لم تذكر الآية مع من كان هذا الحديث .

27 فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم.28 وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض.29 وقال الله إني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا لكم يكون طعاما.30 ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاما .وكان ذلك.31 ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا وكان مساء وكان صباح يوما سادسا [18].

تخبر هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان على صورته "تعالى الله عما يصفون فليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء"، وخلقهم ذكورا وإناثا ، وطلب منهم أن يعمروا الأرض وأن يتسلطوا على الحيوانات التي تعيش على ظهرها،

وكان ذلك في الأيام الستة وعندما انتهى الله من كل ما عمله رأى أن عمله كان حسنا جدا .

القصة الثانية: سفر التكوين الإصحاح الثاني (7-8-9)

7 وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض. ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية. 8 وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا.ووضع هناك آدم الذي جبله.9 وانبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر [19].

إن الآية السابعة تبين أن الله جل جلاله خلق سيدنا آدم عليه السلام من تراب الأرض، ثم نفخ في أنفه نسمة حياة فأصبح نفسا حية .

سفر التكوين الإصحاح الثاني (15-23)

15وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها . 16 وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا.17 وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها .لأنك يوم تأكل منها موتا تموت.18 وقال الرب الإله ليس جيدا أن يكون آدم وحده فاصنع له معينا نظيره.19 وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فاحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به ذات نفس حية فهو اسمها .20 فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية وأما لنفسه لم يجد معينا نظيره.21 فأوقع الرب

الإله سباتا على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما .22 وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم . 23 فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي هذه تدعى امرأة لأنها من امرأ أخذت [20].

ففي هذه الآيات يوصي الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر ، وأن الله تعالى أحضر لآدم جميع الحيوانات التي خلقها ،فأعطاها آدم الأسماء التي هي معروفة الآن، ثم توضح هذه الآيات قصة خلق حواء .

سفر التكوين الإصحاح الثالث (19-23)

19 يعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى التراب تعود.23 فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها [21].

يورد الكتاب المقدس (التوراة) في سفر التكوين فقط قصة الخلق كما أنه يركز على إتمام واكتمال عمل الخلق في ستة أيام ، وأن اليوم السابع كان يوم "استراحة". ويخبر الكتاب المقدس أن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله، فاستحسن ذلك. وهذا خلاف ما جاء في القرآن الكريم الذي لم يعتريه التحريف ، فإن الله جل جلاله لا يحتاج إلى يوم استراحة، إنما إذا أراد شيء أن يقول له كن فيكون . ولقد كذبهم الله سبحانه وتعالى في صريح القرآن قال تعالى ﴿**ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**﴾ [22].

وحين قالوا أن الله خلق الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى،فدلالة هذا الكلام أن الإنسان يشبه خالقه، فهنا السؤال كيف نميز بين الخالق والمخلوق؟ .أما نحن المسلمون الأمر محسوم فكلنا نعلم أن الله عز وجل ليس كمثله شيء. لكن الذي لا تختلف فيه الديانات جميعا هو أن الله سبحانه وتعالى خلق سيدنا آدم عليه السلام من تراب الأرض.

فمن أراد أن يدرس قصة خلق سيدنا آدم عليه السلام فعليه أن يرجع إلى المصدرين الأصليين وهما القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . فالقرآن الكريم ،هو خاتم الكتب السماوية الذي لم يلحقه أي تحريف لقوله تعالى﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإن له لحافظون**﴾، فعند دراسة هذا الكتاب المعجز، نرى أنه يترك آفاق العلم مفتوحة أمام العقل البشري، وكأنه يحثنا على التفكير بإمكانية الصعود إلى أرجاء السماء ،ولكن ضمن إمكانيات معينة، لابد من معرفتها للوصول إلى هذا الهدف. فالله سبحانه وتعالى خلق كل شيء فأبدع خلقه، وهذه بعض آثار ألهويته ودلائلها، نلمسها في صفحة الكون المنظور، وفي ضمير الغيب المترامي وراء إدراك البشر المحدود، وفي نشأة الإنسان وأطواره التي ذكرها الله في كتابه المبين، والتي كشف العلم عن بعضها وما زال يبحث جادا للكشف عن المزيد منها.

الهوامش

1 *سورة التين ***4
2 **سورة الكهف آ 52
3- سورة آل عمران آ س59
4- سورة غافر آ67
5- سورة الروم آ 20
6- سورة ص آ71
7- سورة المؤمنون آ 12
8- سورة السجدة آ 8
9- سورة الصافات آ 11
10-القصص القرآني عرض وتحليل أحداث ،تأليف الدكتور صالح الخالدي ، الجزء الأول ،ص92
11-سورة الحجر آ 28
12-ينظر القصص القرآني ،ص93
13-سورة الرحمن ، آ 14
14-معجم مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني،تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر بيروت 2006م، ص282
15-سورة ص ،آ 71-آ72
16-في ظلال القرآن ،سيد قطب ، الجزء 4،تفسير سورة الحجر الآية ،ص6143
17-دروس في اللغة العبرية ،تأليف الدكتور ربحي كمال ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت،1978م،ص441
18- نفس المرجع السابق ،ص441
19- نفس المرجع السابق، ص443
20- نفس المرجع السابق، ص 445
21- نفس المرجع السابق ،ص 449
22-سورة ق ، آ 38